بسم الله الرحمن الرحيم

مقارنة بين موعظة الجبل

وخطبة حجة الوداع

بقلم

الدكتور

فوزى عبد العظيم رسلان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ، الداعى إلى الله بإذنه ، والهادى إلى صراط مستقيم، وعلى آله وصحبه من دعا بدعوته وتمسك بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد

فهذا بحث جاء فى مقارنة الأديان - لافى الموازنة بينها - ذلك أن الفرق بين الاثنين معلوم، ولا يخفى على أى بحث فى الدين ، أو فى المعتقدات المتوارثة، ومن ثم أبدأ بحثى هذا بما جاء فى القرآن الكريم حيث قال الحق سبحانه : «إن الدين عند الله الإسلام وما أختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ، فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن أتبعنى وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد »[1]، وقال أيضاً : « ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »[2].

بهذه الآيات الثلاث صارت حقيقة الدين - المراد اتباعه - معلومة ، وواضحة، ومع ذلك لم يخل من المعاندة والمكابرة ، نتيجة للعلم الباغى المفرق لوحدة الدين ، والرامى إى الفرقة المتحزبة ، المفتعلة للعداوات الكائنة بين أهل الدين الواحد ، إن لم يكن بين غيرهم من أهل الكتاب.

وكأنى أمام إنسان مسلم لح على خاطره هذا السؤال فسأله قائلاً : بأى دين ينبغى أن يدين الإنسان ؟ اليهودية ، والنصرانية ، والإسلام ، ايهما أصح ، وأولى بالاتباع ؟؟ أم أن كل واحد من هذه الأديان صحيح ، ويمكن لأى شخص أن يختار واحداً منها لكى يتبعه دون تفكير أو روية ؟؟

---

(١) سورة آل عمران الآيات : ١٩، ٢٠ .

(٢) سورة آل عمران الآية : ٨٥ .

سؤال يقتضى قيام علم مقارنة الأديان ، وبيانه لذلك من خلال المنهج العلم الموضوع له ، كى يكون الدليل واضحاً على كل دعوى ، دون مغالطة أو بهتان . .

ذلك أن الإنسان يولده عادة فيجد نفسه على دين معين ، أكتسبه من أبويه ، ومن ثم كان أعتناقه للدين على هذا النحو ، ليس بأى حال من الأحوال نتيجة لبحث ، واختبار ، وإنما هو بذلك أقرب إلى تقليد يتوارث بلا أعتراض ، ويمضى حياته ، وتنتهى وهو مذعن لهذا الاعتقاد ، وأغلب الظن أن بعض الناس يعيشون ، ويموتون ، وهم على هذا النحو ، دون أن يكلفوا أنفسهم عناء البحث ، والوصول إلي الحقيقة ، راضين بالخمول ، والتبلد العقلى الممقوت .

ولما كان طلب الحق غاية ، وكشف المجهول رسالة ، جاء الأمر الإلهى بقوله سبحانه : "أقرأ" التى تفيد العلم النافى للجهل ، وإذا ما جاء دين بمثل هذا فإنه دين قوى ، لا يهاب المخالفة ، لأنه حق ، والحق داحض لما هو باطل ، أما الجهل فهو ضد العلم ، ومن ثم فقد رضى أتباعه بتقليد غيرهم ولو كانوا آباءهم ، دون إعمال عقل ، ولله در القائل :

عاشر من الناس كبار العقول وجانب الجهال أهل الفضول

واشرب نقيع السم من عاقل واسكب على الأرض دواء الجهول

الإسلام ... والامتحان الصعب

لقد واجه الإسلام بعقيدته ، وأصوله القويمة ، معارك فكرية شتى تهدف إلى وأده فى مهده ، وتعمل على تشكيك المعتقدين به ، ولعلوه وموافقته لسنن الله الفطرية المودعة فى الإنسان ، وسننه الكونية المودعة فى الآفاق ، كتب له النصر الذى لا يقل أهمية عن النصر فى أكبر معارك الحرب فى تاريخ البشرية .

إن الدائرة كانت مغلقة عليه ، وكان من الممكن أن يزول مركزها بعد انفرج الدائرة عنه ، لكن ما لبث المركز المقيد بالدائرة أن انطلق منها كسفينة الفضاء التى تركت مكانها بعد أن تحررت من الجاذبية الأرضية ، وانطلقت إلى غزو الفضاء معلنة عن الوصول؟

لكن كيف تم ذلك؟

لقد التف بالنبى - ﷺ - وهو فى الجزيرة العربية، أعداء، ففى الشرق كان الفرس والمجوس عبدة النار، وشمالاً وشمال غرب وجنوباً حيث كان الرومان، والخاضعون لنفوذ الرومان فى الحبشة ، واليمن، وشمال أفريقيا، قد انحرفوا بدعوة المسيح- عليه السلام - ضمن تثليث ثلاثى الأقانيم ابتدعوه، أما اليهود فلم يكن لهم دولة ولكن كان أعظم تجمعاتهم شأناً على تخوم شبه الجزيرة العربية - بالمدينة المنورة - وفيما جاورها من تخوم، وكان اليهود قد استنفدوا قواهم من المكر والدهاء، ومجادلة النبى - ﷺ - ولم يظفروا بشىء ، وكان من الضرورى أن تسبق معارك الفكر والحوار ، ومعارك السيف والقتال.

معركة الفكر

ومن ثم كلف امبراطور الرومان كبير أحبار النصارى فى نجران، ومن معه من القساوسة والرهبان، الذين يجيدون اللغة العربية، بالتوجه لمحمد - ﷺ - لمحاولة التغلب عليه فى حوار يقضى على دعوته، وقد حوت كتب التفاسير، وأسباب النزول، هذا الحوار، حيث أجمع المفسرون على أن آيات صدر سورة آل عمران حتى الآية الثانية والثمانين، بما فى ذلك الآية الثانية والستون، وهى الآية المعروفة بآية المباهلة قد نزلت كلها فى وفد نجران، الذين أتوا من قبل الامبراطور الرومانى ليظهروا أمام النبى - ﷺ - أنهم هم الأولى، والأحق بالاتباع منه . . . وكان الناس بفطرتهم التى لم تتغير نتيجة لتعصب، أو انحيار عقلى موروث، أن يدركوا الحقيقة بعد أن عجزوا عن الوقوف أمام النبى - ﷺ - ، ومن عجب أن النبى - ﷺ - لم يعتمد فى حواره مع وفد نصارى نجران على آيات القرآن الكريم، بل حاورهم بأسئلة سهلة بسيطة ، لم تخل من روح الود والسلام، الذى هو جوهر الإسلام فى دعوته ، وهو بذلك يعد - ﷺ - أول من وضع ميزان الموازنة بين ما جاء به من ربه ، وم جاء به السابقون من الأنبياء قبله.

أما علم المقارنة، فقد سلك سبيل الترجيح بين الدعوات ، ولقد حوت هذه المقارنة عظة الجبل التى ألقاها المسيح ابن مريم لتلاميذه على الجبل ، مبيناً دينه وشريعته ، بخطبة حجة الوداع، التى ألقاها النبى - ﷺ - بمكة، مودعاً أصحابه، معلناً بأن الله قد أتم لهم دينهم ، وأنه لا نبى بعده.

عظة الجبل :

وإليك عظة الجبل والتى وردت بانجيل متى :

لما رأى المسيح - عليه السلام - جموع الناس صعد إلي الجبل ، وما إن جلس حتى أقترب إليه تلاميذه ، فتكلم وأخذ يعلمهم فقال:

السعادة الحقيقية:

" طوبى للمساكين بالروح ، فإن لهم ملكوت السموات ، طوبى للحزانى فإنهم سيعزون ، طوبى للودعاء، فإنهم سيرثون الأرض . طوبى للجياع والعطاش إى البر، فإنهم سيشبعون. طوبى للرحماء ، فإنهم سيرحون. طوبى لأنقياء القلب، فإنهم سيرون الله . طوبى للمضطهدين من أبناء البر، فإن لهم ملكوت السموات. طوبى لكم متى أهانكم الناس واضطهدوكم ، وقالوا فيكم من أجلى كل سوء كاذبين. أفرحوا وتهللوا، فإن مكافأتكم فى السموات عظيمة ، فإنهم هكذا اضطهدوا الأنبياء من قبلكم!!

ملح الأرض ونور العالم:

"أنتم ملح الأرض ، فإذا فسد الملح ، فماذا يعيد إليه ملوحته؟ إنه لا يعود يصلح لشىء إلا لئن يطرح خارجاً لتدوسه الناس؟؟. أنتم نور العالم. لا يمكن أن تخفى مدينة مبنية على جبل، ولا يضيء الناس مصباحاً ثم يضعونه تحت مكيال ، بل يضعونه في مكان مرتفع ليضيء لجميع من فى البيت. هكذا ، فليضيء نوركم أمام الناس ، ليروا أعمالكم الحسنة ، ويمجدوا آباكم الذى فى السماء.

موقف المسيح من الشريعة:

" لاتظنوا أنى جئت لألغى الشريعة الشريعة أو الأنبياء. ما جئت لألغى بل لأكمل. فالحق أقول لكم : إلى أن تزول الأرض والسماء، لن يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الشريعة، حتى يتم كل شىء . فأما من خالف واحدة من هذه الوصايا الصغرى ، وعلم الناس أن يفعلوا فعله ، يدعى الأصغر فى ملكوت السموات. وأما من عمل بها وعلمها ، فيدعى عظيماً فى ملكوت السموات . فإنى أقول لكم : إن لم يزد بركم على بر الكتبة والفريسيين ، لن تدخلوا ملكوت السموات أبداً .

الغضب:

" سمعتم أنه قيل للأقدمين : لا تقتل ! ومن قتل يستحق المحاكمة. أما أنا فأقول لكم: كل من هو غاضب على أخيه ، يستحق المحاكمة، ومن يقول لأخيه يا تافة! يستحق المثول أمام المجلس الأعلى ، ومن يقول : يا أحمق !! يستحق نار جهنم! فإذا جئت بتقدمتك إلى المذبح ، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئا عليك، فاترك تقدمتك . سارع إلي استرضاء خصمك وأنت معه فى الطريق إلى المحكمة، قبل أن يسلمك الخصم إلى القاضى فيسلمك القاضى إلى الشرطى ، فيلقيك فى السجن . والحق أقول لك لن تخرج من السجن حتى توفى الفلس الأخير !!

الزنى :

" وسمعتم أنه قيل :لاتزن ! أما أنا فأقول لكم : كل من ينظر إلى امرأة يقصد أن يشتهيها ، فقد زنى بها فى قلبه ! فإن كانت عينك اليمنى فخالك، فاقلعها وارمها عنك، فخير لك أن تفقد عضواً من أعضائك ، ولا يطرح جسدك كله فى جهنم! وإن كانت يدك اليمنى فخالك، فاقطعها وارمها عنك ، فخير لك تفقد عضواً من أعضائك ، ولا يطرح جسدك كله فى جهنم!

الطلاق :

" وقيل أيضاً : من طلق زوجته فليعطها وثيقة طلاق . أما أنا فأقول لكم : كل من طلق زوجته لغير علة الزنى ، فهو يجعلها ترتكب الزنى، ومن تزوج بمطلقة فهو يرتكب الزنى.

لا تحلفوا البتة :

" وسمعتم أنه قيل للأقدمين : لا تخالف قسمك ، بل أوف للرب ما نذرته له. أما أنا فأقول لكم : لا تحلفوا أبداً ، لا بالسماء لأنها عرش الله ، ولا بالأرض لأنها موطىء قدميه ، ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك الأعظم . ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة فيها بيضاء أو سوداء. ليكن كلامكم : نعم إن كان نعم ، أو لا ، إن كان لا . وما زاد على ذلك فهو من الشرير.

الانتقـام :

" وسمعـتم أنه قيل : عين بعين ، وسن بسن . أما أنا فأقول لكم : لا تقـاوموا الشر بمثله، بل من لطمك على خـدك الأيمن، فأدر له الخد الآخر، ومن أراد مـحاكمتك ليـأخذ ثوبك ، فاترك له رداءك أيضـاً ، ومن سخرك أن تسير مـيلاً ، فسر معـه ميلين، من طلب منك شيئاً، فأعطه . ومن جاء يقترض منك ، فلا ترده خائبا!

محبة الأعداء:

" وسـمعـتم أنه قيل : تحب قـريبك وتبـغض عدوك. أمـا أنا فأقـول لكم : أحبـوا أعداءكم، وباركـوا لاعنيكم ، وأحسنـوا معاملة الذين يسبغضـونكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويضطهدونكم ، فكونوا أبناء أبيكم الذى فى السـموات : فإنه يشرق بشمسه على الأشرار والصالحين ، ويمطر على الأبرار وغير الأبرار، فإن أحببتم الذين يحبونكم فأية مكافأة لكم ؟ أما يفعل ذلك حتى جباة الضـرائب؟ وإن رحبتم بإخوانكم فقط، فأى شيء فائق للعـادة تفعلون؟ أما ما يفـعل ذلك حتى الوثنيون؟ فكونوا أنتم كاملين، كـما أن أباكم السماوى هو كامل!

الصـــدقـة :

" أحذروا أن تعملوا بركم أمام الناس بقصد أن ينظروا إليكم . وإلا فليس لكم مكافأة عند أبيكم الذى فى السموات. فإذا تصدقت على زحد ، فلا تنفخ زمامك فى البوق ، كما يفعل المراؤون فى المجامـع والشوارع ، ليمدحهم الناس . الحق أقـول لكم : إنهم قد نالوا مكافأتهم . أمـا أنت، فعندما تتـصدق على زحد، فلا تدع يـدك اليسرى تعرف مـا تفعله اليمنى. لتكون صدقتك في الخفاء، وأبوك السماوى الذى يرى فى الخفاء، هو يكافئك!

الصلاة:

"وعندما تصلون ، لا تكونوا مـثل المرائين الذين يحبون أن يصلوا واقـفين فى المجامع وفى زوايا الشوارع لـيراهم الناس . الحق أقول لكـم : إنهم قد نالوا مكافـأتهم . أما أنت فعندما تصلى ، فادخل غرفتك ، وأغلق الباب عليك ، وصل إلى أبيك الذى فى الخفاء ، وأبوك الذى يرى فى الخفاء ، هو الذى يكافئك . وعندما تصلون ، لا تكرروا كلاماً فارغاً

كما يفعل الوثنيون، ظناً منهم أنه بالإكثار من الكلام ، يستجاب لهم ، فلا تكونوا مثلهم ، لأن أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه.

الصلاة الربانية:

" فصلوا أنتم مثل هذه الصلاة : أبانا الذى فى السموات، ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك! لتكن مشيئتك على الأرض كما هى فى السموات! خبزنا كفافنا أعطنا اليوم ! وأغفر لنا ذنوبنا ، كما نغفر نحن للمذنبين إلينا ! ولا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير!

فإن غفرتم للناس زلاتهم ، يغفر لكم أبوكم السماوى زلاتكم . وإن لم تغفروا للناس، لا يغفر لكم أبوكم السماوى .

الصوم :

" وعندما تصومون، لا تكونوا عابسى الوجوه، كما يفعل المرائوه الذين يقطبون وجوهم، لكى يظهروا للناس صائمين. الحق أقول لكم إنهم قد نالوا مكافأتهم . أما أنت فعندما تصوم ، فاغسل وجهك ، وعطر رأسك ، لكى لا تظهر للناس صائما، بل لأبيك الذى فى الخفاء. وأبوك الذى يرى فى الخفاء هو يكافئك.

الكنز الحقيقى :

" لا تكنزوا لكم كنوزا علي الأرض ، حيث يفسدها السوس والصدأ ، وينقب عنها اللصوص ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزا فى السماء ، حيث لا يفسدها سوس ولا ينقب عنها لصوص ولا يسرقون ، فحيث يكون كنزك ، هناك أيضاً يكون قلبك!

العين مصباح الجسد:

" العين مصباح الجسد . فإن كانت عينك سليمة ، يكون جسدك كله منوراً . وإن كانت عينك سيئة يكون جسدك كله مظلماً . فإن كان النور الذى فيك ظلاما فما أشد الظلام!

الله والمال :

" لا يمكن لأحد أن يكون عبداً لسيدين. لأنه اما أن يبغض أحدهما فيحب الآخر ، واما أن يلزم أحدهما فيهجر الآخر . لا يمكنكم أن تكونوا عبيداً لله والمال معا.

الله يعتنى بنا:

" لذلك أقول لكم : لا تهتموا لمعيشتكم بشأن ما تأكلون وما تشربون ولا أجسادكم بشأن ما تكتسون . أليست الحياة أكثر من مجرد طعام ، والجسد أكثر من مجرد كساء ؟ تأملوا طيور السماء : إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع فى مخازن ، وأبوكم السماوى يعولها . أفلستم أنتم أفضل منها كثيرا؟ فمن منكم إذا حمل الهموم يقدر أن يطيل عمره ولو ساعة واحدة ؟ ولماذا تحملون هم الكساء ؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو: إنها لا تتعب ولا تغزل ، ولكنى أقول لكم : حتى سليمان فى قمة مجده ، لم يكتس ما يعادل واحدة منها بهاء ! فإن كان الله هكذا يكسو الأعشاب البرية مع أنها توجد اليوم وتطرحغدا فى النار، أفلستم أنتم ، يا قليلى الإيمان ، أحرى جدا بأن يكسوكم ؟ فلا تحملوا ألهم قائلين : ما عسانا نأكل ؟ أو ما عسانا نشرب ؟ أو ما عسانا نكتسى ؟ فهذه الحاجات كلها تسعى إليها الأمم. فإن أباكم السماوى يعلم حاجتكم إلى هذه كلها . أما أنتم فاسعوا أولا إلى ملكوت الله وبره ، فتزاد لكم هذه كلها . لا تهتموا بأمر الغد ، فإن الغد يهتم بأمر نفسه ، يكفى كل يوم ما فيه من سوء !!

لا تدينوا الآخرين:

" لا تدينوا لئلا تدانوا ، فإنكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون ، وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم . لماذا تلاحظ القشة فى عين أخيك ، ولكنك لا تنتبه إلى الخشبة الكبيرة فى عينك ؟ أو كيف لأخيك : دعنى أخرج القشة من عينك، وها هى الخشبة فى عينك أنت! يا مرائى ! أخرج أولا الخشبة من عينك ، وعندئذ تبصر جيداً لتخرج القشة من عين أخيك . لا تعطوا ما هو مقدس للكلاب ، ولا تطرحوا جواهركم أمام الخنازير ، لكى لئلا تدوسها بأرجلها وتنقلب عليكم فتمزقكم.

الله يعطى لمن يسأله:

" أطلبوا تعطوا ، اسعوا ، تجدوا ، أقرعوا ، يفتح لكم ، فكل من يطلب ينال، ومن يسعى ، يجد ، ومن يقرع ، يفتح له ، وإلا فأى إنسان منكم يطلب منه ابنه خبزا، فيعطيه حجرا ، أو سمكه ، فيعطيه حية ؟ فإن كنتم وأنتم أشرار، تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة ، فكم بالأحرى جداً يعطى أبوكم السماوى عطايا جيدة للذين يطلبون منه ؟ إذن ، كل ما تريدون أن يعاملكم الناس به ، فعاملوهم أنتم به أيضاً : هذه خلاصة تعليم الشريعة والأنبياء.

الباب الضيق:

" ادخلوا من الباب الضيق ، فإن الباب المؤدى إلى الهلاك واسع وطريقه رحب ، وكثيرون هم الذين يدخلون منه . ما أضيق الباب وأعسر الطريق المؤدى إلى الحياة !! وقليلون هم الذين يهتدون ليه . من ثمارهم تعرفونهم.

" احذروا الأنبياء الدجالين الذين يأتون إليكم لابسين ثياب الحملان، ولكنهم من الداخل ذئاب خاطفة!! من ثمارهم تعرفونهم. هل يجنى من الشوك عنب ، أو من العليق تين؟ هكذا ، كل شجرة جيدة تثمر ثمراً جيداً . أما الشجرة الرديئة ، فإنها تثمر ثمراً رديئا. لا يمكن أن تثمر الشجرة الجيدة ثمراً رديئا ، ولا الشجرة الرديئة ثمراً جيداً . وكل شجرة . وكل شجرة لا تثمر ثمراً جيداً ، تقطع وتطرح في النار . إذن من ثمارهم تعرفونهم.

ليس بالكلام بل بالعمل:

" ليس كل من يقول لى : يارب ، يارب ، يدخل ملكوت السموات، بل من يعمل بإرادة أبى الذى فى السموات. فى ذلك اليوم سيقول لى كثيرون : يارب ، يارب، أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك طردنا الشياطين، وباسمك عملنا معجزات كثيرة ولكنى عندئذ أصرح لهم : إنى لم أعرفكم قط! ابتعدوا عنى يا فاعلى الاثم!!

البيت المؤسس على الصخر:

" فأى من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها ، أشبه برجل حكيم بنى بيته على الصخر

فنزلت الأمطار ، وجرت السيول، وهبت العواصف ، فضربت ذلك البيت، فلم يسقط لنه مؤسس على الصخر . وأى من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها ، يشبه برجل غبى بنى بيته على الرمل ، فنزلت الزمطار ، وجرت السيول ، وهبت العواصف ، فضربت ذلك البيت، فسقط - وكان سقوطه عظيماً ' (١)

ولما أنهى المسيح - عليه السلام- هذا الكلام الذى فاض به ، ذهلت الجموع من تعاليمه ، لأنه كان يعلمهم كصاحب سلطة ، وليس مثل كتبتهم.

أهم الأفكار الواردة فى عظة الجبل

أولاً : يجوز لنا أن نسمى (عظة الجبل) إنجيلاً ، وإن كان الإنجيل يعنى: الخبر السار المفرح ، هذا الخبر هو ظهور محمد - ﷺ - رحمة للناس أجمعين (٢). ذلك أن أصل الكلمة فى اليونانية " إيفانجليوس " فهى مكونة من مقطعين : أولهما : "إيف " وثانيهما: " انجليوس " ومعنى " إيف " : السرور ، ومعنى " انجليوس" : الخبر فيكون المعنى : الخبر السار المفرح . ونطق الكلمة في القبطية هو " إيفانجليون" زمعناه : الخبر السار المفرح. لكن لما شملت (عظة الجبل) جل تعاليم المسيح - عليه السلام- كما حوت شريعته التى نادى بها ، فهى تعد مخ مبادئه ، أسميناها إنجيلاً ، وما عداها فتاريخ للمسيح، وقصص ، وأمثال ، وكلمات تتعلق بالأخلاق.

ثانياً : أن ما جاء فى عظة الجبل يعد ناسخاً ومعدلا لبعض ما جاء فيالعهد القديم، ومعظمه قاله المسيح - عليه السلام - وأورده متى بإنجيله ، من ذلك على سبيل المثال :

ماجاء فى القتل : " سمعتم أنه قيل للأقدمين : لا تقتل ، ومن قتل يستحق المحاكمة، أما أنا فأقول لكم : كل من هو غاضب على أخيه ، يستحق المحاكمة(٣).

ما جاء فى الزنا : " سمعتم أنه قيل : لا تزن ! أما أنا فأقول لكم : كل من ينظر إلي امرأة يقصد أن يشتهيها ، فقد زنى بها فى قلبه" ! (٤)

---

(١) العهد الجديد - متى - الاصحاح : ٥- ٨.

(٢) المناظرة الحديثة فى علم مقارنة الأديان الشيخ ديدات والقسيس سوجارت- ص ٥٣، ٥٤.

(٣) متى : ٥/ ٢١، ٢٢.

(٤) متى : ٥/ ٢٧، ٢٨.

ما جاء فى الطلاق : " أما أنا فأقول لكم : كل من طلق زوجته لغير علة الزنى فهو يجعلها ترتكب الزنى[1].

أما الزواج بالمطلقة فقد قال : " من تزوج بمطلقة فهو يرتكب الزنى[2].

وفى القصاص نرى قوله : " سمعتم أنه قيل عين بعين ، وسن بسن ، أما أنا فأقول لكم : " لا تقاوموا الشر بمثله ، بل من لطمك على خدك الأيمن ، فأدر له الخد الآخر "[3].

هذا النسخ والتعديل والالغاء الذى جاء به المسيح - عليه السلام - لبعض ما جاء فى العهد القديم يعد متناقضاً لما ورد فى الانجيل ذاته وفى نفس العظة ، حيث قال المسيح : " لا تظنوا أنى جئت لألغى الشريعة أو الأنبياء ، ما جئت لألغى بل لأكمل[4] . . . أى إكمال هذا ؟؟ علماً بأن الأناجيل المعترف بها لدى الكنيسة لا تحوى شريعة إلا في هذه العظة فقط ، وجميعها مذكور فى العهد القديم.

ثالثاً : بالنظر إلي العهد القديم والعهد الجديد (الكتاب المقدس) والانجيل كتاب الحياة الطبعة الخامسة، وجدنا أختلافاً بيناً فى العبارات والألفاظ وعدم الدقة فى نقلها ، ما بين زيادة ونقصان ، ولو كان الانجيل من خلال عباراته ، والفاظه مقدساً ، ما وجدنا هذا الاختلاف ، المؤدى إلى اختلاف المعنى ، وصارت العبارة أو الكلمة هى الحد لفاصل فى فهم المراد ، وذلك بإعمال العقل فيها ، ولما كان فهم انجيل موكولاً لرجال الدين فى الكنيسة، وليس لغيرهم ، حدث التغيير حسب المراد ، دون مناقشة أو اعتراض من رواد الكنيسة ، والأمثلة على ذلك كثيرة، منها على سبيل المثال :

(أ) = جاء فى الانجيل كتاب الحياة [طوبى لأنقياء القلب ، فإنهم سيرون الله ، طوبى

---

(١) متى : ٥/ ٣٢.

(٢) متى : ٥/ ٣٢ .

(٣) متى : ٥/ ٣٨، ٣٩.

(٤) متى : ٥/ ١٨ .

لصانعى السلام فإنهم سيدعون" أبناء الله "[1].

وجاء فى العهد الجديد : "طوبى لأنقياء القلب ، لأنهم يعاينون الله ، طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون "[2].

(ب) = جاء فى الانجيل كتاب الحياة: "سمعتم أنه قيل للأقدمين ، لا تحالف قسمك ، بل أوف للرب ما نذرته له "[3].

وجاء فى العهد الجديد : "أيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء ، لاتحنث بل أوف للرب أقاسمك "[4].

(ج) = جاء فى الانجيل كتاب الحياة "فصلوا أنتم مثل هذه الصلاة: أبانا الذى فى السموات، ليتقدس أسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك على الأرض كما هى فى السماء ، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم ، وأغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن للمذنبين إلينا ، ولا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير"[5].

وجاء فى العهد الجديد : "فصلوا أنتم هكذا : أبانا الذى فى السموات، ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك فى الأرض، خبزنا كفافنا أعطنا اليوم، وأغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا ، ولا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشريري، لأن لك اللك والقوة والمجد إلي أبد الآبدين آمين "[6].

وبالتأمل فيما ذكرنا فى (أ) نجد اختلاف ألفاظ ، أدى إلى اختلاف فى المعنى ، ذلك أن (الرؤية) تخالف (المعاينة) ، فالرية هى : إبصار بحاسة البصر [7].

أما المعاينة فهى : الملاقاة عياناً بحيث لم يكن هناك شك [8] والفرق بين اللفظين واضح.

---

(١)، (٢) متى: ٥/ ٨، ٩.

(٣) ، (٤) متى : ٥/ ٣٣.

(٥)، (٦) متى ٦/ ٩ - ١٣ .

(٧) المعجم الوسيط ١/ ٣٣٢.

(٨) المصدر السابق ٢/ ٦٦٤.

كما أن تركيب العبارة الثانية وهى :[طوبى لصانعى السلام فإنهم سيدعون أبناء الله]، مختلفة عما جاء فى العهد الجديد فقد ذكر :[طوبى لصانعى السلام لأنهمأبناء الله يدعون]، هذا الاختلاف فى التركيب أدى إلى اختلاف واضح فى المعنى، فالسين فى (سيدعون) للاستقبال ، وجاءت فى الأخرى بحرف المضارعة (يدعون) الدال على الحاضر أولاً والمستقبل ثانياً ، وفى هذا إضطراب فى المعنى المراد من خلال التراكيب غير المضبوطة .

رد على ما تقدم أن هذه العبارة لم يرتضيها الإسلام (أبناء الله) لما فيها من التشويه ، وعدم التنزيه لله - سبحانه - ومن ثم فقد رد عليهم إفكهم هذا حيث قال تعالى : ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير﴾(١)، وقال سبحانه : ﴿ وقالوا أتخذ الرحمن ولداً ، لقد جئتم شيئاً إذا ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ، أن دعوا للرحمن ولداً ، وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولداً، إن كل من فى السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عداً ، وكلهم آتية يوم القيامة فرداً ﴾(٢).

أما فيما يتعلق بما ذكر فى (ب) ، فقد ورد بالانجيل - كتاب الحياة ما يلى : [سمعتم أنه قيل للأقدمين ، لا تحالف قسمك ، بل أوف للرب ما نذرته له](٣)، وورد بالعهد الجديد ما يلى : [أيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء ، لا تحنث بل أوف للرب أقسامك](٤).

وبيان ذلك : أن ما جاء فى الانجيل - كتاب الحياة - يفهم منه : عدم مخالفة القسم ، مع وجوب الإيفاء بالنذر للرب . ويفهم مما جاء فى العهد الجديد ما يلى : عدم القسم ، مع الإيفاء بالقسم للرب . ففى الأول: عدم مخالفة القسم ، وفى الثانى : عدم القسم . كما يفهم من الأول: وجوب الإيفاء بالنذر للرب ، ومن الثانى : الإيفاء بالقسم للرب.

الفرق بين النذر والقسم :

وبالرغم من أن الآية واحدة ، فواضع الانجيل لم يفرق بين النذر ، والقسم ، ومن ثم

---

(١) سورة المائدة الآية :١٨.

(٢) سورة مريم الآيات : ٨٨ - ٩٥

(٣) ، (٤) متى : ٥/ ٣٣.

جاء كل واحد منهما مكان الآخر دون روية . ذلك أن النذر : ما يقدمه المرء لربه ، أو يوجبه على نفسه من صدقة أو عبادة أو نحوها [١]. قال تعالى : ﴿ يوفون بالنذر ﴾ [٢]، وقال : ﴿وليوفوا نذوورهم﴾[٣]، وعن عائشة - رضى الله عنها- قالت : قال رسول الله - ﷺ - : «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » [٤] . أما القسم : فهو الحلف . يقال : أقسم بالله : حلف به . فهو مقسم [٥]، وعن ابن عمر أن رسول الله - ﷺ - قال : « من حلف بغير الله فقد أشرك »[٦]. من هذا نرى الفرق واضحاً بين النذر ، والقسم ، ولا يخفى على من له أدنى فكر.

أما ما جاء فى (ج) فهو متعلق بصيغة الصلاة، والمتأمل فيها يجد نقصاً معلوماً غير مثبوت بالانجيل - كتاب الحياة- وهو :[لأن لك الملك والقوة والمجد إلى أبد الآبدين آمين]، مما يدل على أن هذه الترجمة التفسيرية الحديثة ، للانجيل كتاب الحياة، غير أمينة، فهى لا تؤدى المعانى الدقيقة للنصوص اليونانية القديمة، ومن ثم نرى استمرارية التغيير ، والحذف فى الترجمة التفسيرية حفاظاً على رجال الكنيسة وسلطانها.

ولا غرو فقد منحت المجامع الدينية للبابا سلطات دينية ترفعه إلى مرتبة الألوهية ، مرتبة غفران الذنوب، فقد قرر مجمع روما المنعقد سنة ١٢١٥ م أن الكنيسة البابوية تملك حق الغفران ، وتمنحة لمن تشاء.

ومن يملك حق الغفران، يملك بالتالى حق الحرمان!!

موقف رجال الكنيسة:

وقد باشر رجال الكنيسة هذه السلطة وتوسعوا فيها فأخذوا يقرون ما يريدون فباعوا صكوك الغفران، وصدروا قرارات الحرمان معتمدين على هذا النص الذى جاء بإنجيل

---

(١) المعجم الوسيط ٢/ ٩٤٩.

(٢) سورة الإنسان من الآية : ٧، وانظر مفاتيح الغيب - الرازى ١٦/ ٥٩.

(٣) سورة الحج من الآية : ٢٩.

(٤) رواه البخارى ، وانظر بتوسع المغنى - ابن قدامة ١١/ ٩٣.

(٥) المعجم الوسيط ٢/ ٧٦٣.

(٦) رواه الترمذى وقال هذا حديث حسن.

يوحنا: «من غفرتم خطاياه تغفر له ، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت »[1]. وما جاء هذا النص إلا بياناً وتوضيحاً لما جاء في صيغة الصلاة " وأغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن للمذنبين إلينا "[2]، ليكون لرجال الدين السيادة ولكنيسة السلطان، فبين النصين عموم وخصوص.

يقول القديس أغسطينوس " فأنا لا أؤمن بالانجيل إلا كما يوجهه سلطان الكنيسة "[3].

وهذا يعنى أنه ليس على المؤمن البسيط إلا أن يقبل الإنجيل كما تعلمه الكنيسة وحسب تفسيرها، كما وعليه بالأكثر أن يلتجىء إلى الكنيسة إذ أعثر فى شىء أو دخل فى مواجهة مع الخارجين عن الإيمان ، لأنه من الكنيسة استلم الانجيل وبالكنيسة يفهمه " [4].

سلامة موقف الإسلام:

أما الإسلام فيبين أن الله وحده هو الذى يغفر لمن يشاء ولا يمكن لأى إنسان - مهما بلغت منزلته - أن يدعى هذا الحق ، يقول الله تعالى لنبيه محمد -ﷺ- : «استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم» [5] ، كما أنه لم يخص أحداً دون أحد فى فهم كتابه ، وبيان مراده - كما هو معلوم لدى الكنيسة - بل جعل حق الفهم والتدبر للناس جميعاً ، قال تعالى : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه أختلافاً كثيراً ﴾ [6]، ﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾[7]، ولا غزو ففى هذا دليل واضح على سلامة القرآن الكريم، وحفظه من التغيير، والتبديل، ومن الزيادة والنقصان ، قال تعالى : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[8].

---

(١) يوحنا : ٢٠/٢٣.

(٢) متى : ٦/١٢.

(٣) التقليد وأهميته فى الإيمان المسيحى - الأب متى المسكين- ص ٥١.

(٤) المصدر السابق - نفس الصفحة.

(٥) سورة التوبة من الآية : ٨٠ .

(٦) سورة النساء الآية : ٨٢.

(٧) سورة محمد الآية : ٢٤.

(٨) سورة الحجر الآية : ٩.

من قضايا عظة الجبل :

كما قررت عظة الجبل من خلال الصلاة الربانية ثلاث قضايا مهمة تأصلت من هذه الآية: {أبانا الذى فى السموات ليتقدس اسمك}(١) ، وهى ما يلى :

١- أن الله واحد لا شريك له.

٢- أن عيسى رسول الله .

٣- أن عيسى مرسل إلي بنى اسرائيل فقط.

وعن القضية الأولى : يوضح متى عن عيسى قوله : {إن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعا أخوة . . . إن أباكم واحد الذى فى السموات}(٢).

ويذكر يوحنا فى انجيله عن عيسى قوله : {إنى أصعد إلي أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم}(٣).

وعن القضية الثانية : فقد ذكر متى فى إنجيله عن عيسى : {ولما دخل أو شليم ارتجت المدينة كلها قائلة من هذا ؟ فقالت الجموع هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل }(٤).

وجاء فى إنجيل يوحنا قوله عن عيسى : {وأنا إنسان قد كلكم بالحق الذى سمعه من الله } (٥)

وعن القضية الثالثة: جاء فى انجيل متى ما نصه : {هؤلاء الاثنا عشرا أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامرين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى إلى خراف بيت اسرائيل الضالة}(٦).

---

(١) متى : ٦/ ٩.

(٢) متى : ٢٣/ ٨، ٩

(٣) يوحنا : ٢٠/ ١٧.

(٤) متى : ٢١/ ١٠، ١١.

(٥) يوحنا : ٨/ ٤٠.

(٦) متى : ١٠/ ٥، ٦.

والقرآن الكريم يقرر أيضاً هذه القضايا الثلاث:

١ – قال تعالى عن ودانية الله – تعالى – : ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد﴾ (١).

٢– وقال – أيضاً – عن أن عيسى رسول من عند الله : ﴿ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ (٢).

٣– وقال عن أن رسالته لبنى إسرائيل خاصة : "ويعلمه الكتاب الحكمة والتوراة والانجيل ، ورسولا إلي بنى إسرائيل " (٣)

بعد هذا البيان الموجز بقى بيان مفهوم { أبانا} المأخوذ من {الآب} بمد الهمزة فى اللغة السريانية، وهى تعنى الأقنوم الأول عند النصارى (٤).

ومعناه : الله ، ولكن النصارى عندما ترجموا العهد الجديد للغة العربية، أبقوا المدة مع أن مقصودهم ما يقابل الابن ، ولتصحيحها ينبغى أن تكتب من غير مد (٥). بيد أن هذه الكلمات:

الأب ، الابن ، الروح القدس.

لم ترد فى الانجيل إلا فى عبارات وتراكيب مختلفة ، ولا نجد عبارة واحدة تجمع بينها فى سياق واحد ، وذلك باستثناء كلمة المسيح التى رويت عنه فى إنجيل متى حيث قال لتلاميذه.

{فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس} (٦).

ولو استعرضنا جميع أعمال الرسل ورسائلهم التى ألحقت بالأناجيل ، وصارت جزءا

---

(١) سورة المائدة من الآية : ٧٣.

(٢) سورة المائدة من الآية : ٧٥.

(٣) سورة آل عمران من الآيتين: ٤٨، ٤٩.

(٤) المعجم الوسيط ١/ ١.

(٥) الانجيل والصليب – عبد الأحد داود صـ ٨.

(٦) متى : ٢٨/ ١٩.

متمـما، لوجدنا أنها لم تحـدث عن شيء مما أصبح عقدة مـقررة عند المسيحيـين بعد مؤتمر (نيقية) [1] الذى قرر أن المسيح هو أقنوم الابن فى الله ذى الثلاثة أقانيم.

غير أننا رأينا أن رسائل (بولس) الرسول تحتوى على عبارات لاهوتية امضة ، يمكن أن تحمل على محاميل شتى ، يقول (ول ديورانت):

"وأضاف (بولس) إلى اللاهوت الشـعبى الموسى بعض آراء صوفيـة غامضة كـانت قد ذاعت بين الناس بعد إنتشار (سفر الحكمة) و(فلسفة فيلمون) . . . من ذلك قوله (بولس): إن المسيح هو حكمة الله ، وابن الله الأول. . . وبكر كل حليـفة . . . فإن فيه الكل . . . الكل به ، وله قـد خلق . . . الذى هو قـبل كل شيء ، وفيـه يقـول الكل . . وليس هو المسيح المنتظر (المسـيا) اليهـودى الذى سينجى اسرائيل من الأسـر . . . بل هو الكلمة التى ستنجى الناس كلهم بموته" [2] ومن ثم نرى نقل المسيحية من الوحدانية إلىٰ التثليث، ونقل عيسى من رسول إلى إله ، والقـول بأن المسيحية رسالة عامـة ، والقول بأن عيسى هو ابن الله نزل ليضحى بنفسه للتكفير عن خطيئـة البشر ، وأنه عاد مرة أخرى إلي السماء ليجلس عن يمين أبيه ، كان هذا كله عملا جديداً وتغييرا واضحاً دخل على المسيحية الحقة التى جاء بها المسيح ابن مريم - عليه السلام - .

رابعاً : ورد فى عظة الجبل فى معنى {السـعادة الحقيقيـة} : "طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات . . . " [3]. وملكوت السموات هو الجـزاء الموعود - فى دعوة المسيح عليـه السلام - للطيبين الصالحين من الـناس . . . إنه لن يدخله إلا من عمل له فى هذه الحياة الدنيا، وأثر صلاح روحه على مطالب جسده.

بيد أنه لـم يرد فى تعاليم المسـيح شيء عن (البعث) وعن المرحلة الفـاصلة بين الموت والبعث . . . البعث الجـماعى الذى يقوم الناس فيه من قبـورهم مرة واحدة . . . وإنما هى نقلة واحدة من موت إلي ملكوت السموات، أو إلى خارج هذا الملكوت!!

---

(١) فى سنه ٣٢٥م اجتمع المؤتمر المسكونى فى (نيقية) بأمر الملك قـسطنطين الكبير ، وقد حضر هذا المؤتمر ٣١٨ أسقفا من شتى أنحاء العالم ، ومن مختلف الطوائف المسيحية لمناقشة طبيعة المسيح.

(٢) قصة الحضارة : ١١/ ٢٦٦ .

(٣) متى : ٥/ ٣.

يقول المسيح فى بعض عظاته : "لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها . بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم" (١)

وواضح من هذا النص أن المسيح يرى أن الروح والجسد متلا زمان فى الثواب والعقاب فى الحياة الآخه . . . وهذا ما يخالف ما ذهب إليه (ابن سينا) وغيره من أن العقيدة المسيحية ترى الحياة الآخرة للروح وحدها ، وليس للجسد فيها نصيب . . بمعنى أن البعث وإن شمل الكيان الانسانى من روح وجسد ، فإن الجسد لا ينال شيئا هناك من مطالبع ، من مطعم ومشرب - طيب أو ردئ - وإنما الذى يتوجه إليع الثواب والعقاب هو الروح(٢).

وإذا كان هناك تخلبط ولبس فى فهم المراد من النصوص الإنجيلية ، حيث أشكل الأمر، وتلبست الكلمات بكثير من الضباب ، فالسبب فى ذلك يرجع إلى الرمزية التى اهنمد عليها كاتبوا الاناجيل ، وفى ذلك بعد عن الحقيقة ،وعدم التثبت من المراد ، ومثال ذلك :

نجد فى كثير من الآيات : [الملكوت] مضافا إلى الله ، وإلى السموات . . .كقول المسيح : " الحق أقول لكم إنه يعسر أن يدخل فنى إلى ملكوت السموات وأقول لكم أيضاً: إن مرور جمل من ثقب إبرة إيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله (٣)" كما اختلطت هذه الكلمة [ابن الإنسان] بكلمة الله فى كثير من آيات الانجيل بحيث أصبح المدلول لأى منهما فى مكان ، نجده للأخرى فى مكان آخر . . .

" يرسل ابن الإنسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم . ويطرحونهم فى أتون النار هناك يكون البكاء وصرير الأسنان "(٤)، " متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده ، تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسيا تدنيون أسباط

---

(١) متى : ١٠/ ٢٨.

(٢) الله والانسان عبد الكريم الخطيب ٢٠/ ٢٥٦ .

(٣) متى : ١٩/ ٢٣، ٢٤.

(٤) متى : ١٣/ ٤١، ٤٢.

اسرائيل الأثنى عشر[1]" وفى هذا خلط واضح .

وعلى كل فإن المسيح حين بين قضية البعث . . . أكد فى دعوته أن هناك بعصا ، وأن هناك حياة آخرة ، وأن فى هذه الحياة يلقى الناس جزاء أعمالهم ، فينعم الأخيار ، ويتعذب الأشرار . . . " هناك يكون البكاء وصرير الأسنان " إذن سيبعث الانسان ، وفيه إحساس وشعور . . . وماذا يكون الانسان بغير الاحساس والشهور ؟!

مثال آخر لوضوح الخلط :

" اسهروا إذا لأنكم لا تعلمون فى آية ساعة يأتى ربكم ، واهلموا هذا أنه لو عرف رب البيت فى أى هزيع يأتى السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب ، لذلك كونوا أنتم أيضا مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الإنسان[2] "

فهذه النصوص تكشف عما أشرنا إليه من قبل من أن كلمة [ابن الانسان] التى ترد على لسان المسيح ، تحمل فى مضمونها المعنى الذى الذى يراد به من كلمة [الله] .

وقد ورد الاستعمالان [يأتى ربكم] و [يأتى ابن الانسان] يتحدثان عن ذات واحدة، فى موقف واحد !!

وهذا غاية الخلط والوضع والتحريف .

هيمنة الإسلام:

أما الإسلام فنستطيع أن نقول إنه قد كان أبلغ ، فما ترك بهده قولا لقائل ، ولا حجة للملحد أو مكابر ، كما لم يتخذ أسلوب الجدل والتلاعب بالألفاظ والعبارات ، بل جاء إلى العقل من كل باب تدخل منه المعرفة الصحيحة إليه . . . المعرفة التى يشهد لها الحس والواقع ،وتدعمها الحجة البالغة ، والمنطق الرصين !

لقد جاء القرآن الكريم فى إثبات قضية البعص بأكثر من شاهد من الإنسان ، والحيوان، والطير ،وسلك طريق المقايسة والموازنة ،ليبطل حجج المنكرين ، وينتهى الأمر

---

(١) متى : ١٩/ ٢٨.

(٢) متى : ٢٤/ ٤٢- ٤٤.

بالتسليم ، لو أخلى الإنسان نفسه من التعصب للرأي ، والإصرار عليه ، ويكفينا في هذا المقام ما جاء في قوله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الارحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ، ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحي الموتى وأنه على كل شيء قدير ، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ﴾[1].

بهذا كان شأن القرآن مع العقل إذا تحدث فيما وراء الحس . . . إنه يخاطبه باللغة التي يحسنها . . . فالعاقل يؤمن بالمدركات الحسية ، ويطمئن إليها . . . ولكنه مع ذلك ينزع إلى التجريد ، فيخرج من مدركات الحس ، ومدركات مجردة لا وجود لها .

ولو كانت معطيات العقل كلها من عالم المحسوس لأصيب بالتبلد والجمود ، ولو كانت معطياته كلها من عالم التجريد ، لما انتفع بشيء من الحياة ، ولا انتفهت الحياة منه بشيء .

خامساً : لقد ورد بلفظ صريح - في عظة الجبل - تبرؤ المسيح - عليه السلام - يوم الجزاء من كل من ناداه بالربوبية ، واعتقد فيه ذلك ، وصار يفعل بأسمع كل شيء ، تاركاً لأوامر اله ، وما كلف به من عمل ، وفي ذلك يقول : [ليس كل من يقول لي : ياربي ، ياربي ، يدخل ملكوت السموات ، بل من يعمل بإرادة أبي الذي في السموات . في ذلك اليوم سيقول لي كثيرون : يارب ، يارب ، أليس باسمك تنبأنا ، وباسمك طردنا الشياطين ، وباسمك عملنا معجزات كثيرة ؟؟ ، ولكني عندئذ أصرح لهم : أني لم أعرفكم قط ! ابتعدوا عني يا فاعلي الأثم !][2].

وهذا تأكيد واضح على أن عيسى - عليه السلام - عبد الله ورسوله ، بلغ ما أمر به من ربه ، مأمور بالإلتزام به ، متبرئ من كل من لا يفعل ما أمر الله ، ولقد دلنا القرآن الكريم على ذلك ، وأوقفنا على حقيقة هؤلاء القوم حيث قال سبحانه : ﴿ وإذ قال الله يا

(١) سورة الحج الآيات : ٥-٧.

(٢) متى : ٧/ ٢١-٢٣.

عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس أتخذونى وأنى إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن أعبدوا الله ربى وربكم وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد ، إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾[1].

سادساً : إن هذه العظة لا تتماشى الآن مع التقدم الحضارى ، ولا ترتفه الإنسانية من هلالها ، فهى قد تضمنت أوامر لا يقوم بها إلا رجل ليس لهذه الحياة أصلاً ، بل لراهي معتزل فى ديره . . . ومن ثم كان وجود الرهبانية فى المسيحية ، فتعاليمها توجد هذا النظام، وإن لم ينص عليه ،أما الزواج فهو مجرد ضرورة لصيانة المرء من الفاحشة ، ففى رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس جاء قوله عن عيسى : [فحسن للرجل أن لا يمس امرأة][2]. وقال أيضاً : [ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما أما ، ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا] [3]،وقال : [ولكنى أقول لكم : إن الذى يطلق زوجته لغير علة الزنى ، ويتزوج بغيرها ، فإنه يرتكب الزنى . والذى يتزوج بمطلقة، يرتكب الزنى ، فقال له تلاميذه : إن كانت هذه حالة الزوج مع الزوجة ، فهدم الزواج أفضل ! فأجابهم : هذا الكلام لا يقله الجميع ، بل الذين أنعم عليهم بذلك ، فإن بعض الخصيان يولدون من بطون أمهاتهم خصياناً ،وبعضهم قد خصاهم الناس ، وغيرهم قد خصوا أنفسهم من أجل ملكوت السموات . فمن استطاع أن يقبل هذا فليقبله] [4].

وعلى ذلك فإن هذه النظرة دعت إلى الرهبانية ، وجعلتها الحالة المثلى ، أما الزواج فهو مجرد ضرورة إذا خشى الزنا ، ومن واحدة فقط ، ولا يجوز لأى من هذين الزوجين أن يتزوج مرة أخرى ، أما إذا كان الفراق بالموت فإن الحى يجوز له أن يتزوج .

---

(١) سورة المائدة الآيات : ١١٦- ١١٨.

(٢) الاصحاح ٧/ ١.

(٣) الاصحاح ٧ / ٨، ٩.

(٤) متى : ١٩ / ١٢،٩.

من مضاعفات هذا الاتجاه :

ولما كان الزواج بواحدة فقط ، اهتم المسيحيون بكثرة النسل ، وحاربوا تحديده ، خاصة فى البلاد التى يكونون فيها أقلية ، أو مساوين فى التعداد تقريباً لأتباع غير المسيحية من الديانات ، ولذلك تراهم فى الشرق بوجه خاص يتجهون إلى إكثار النسل [1].

أما الإسلام : فقد أهتم بالإنسان ، وأعتنى به ، وسلك طريقاً وسطاً ، مراعيا مطالب الجسد والروح معاً ، فنهى عن الرهبانية ، وأباح له الزواج بأكثر من واحدة ،كما أباح له الطلاق إذا تعسرت الحياة وصعبت ،وأوصى بالنساء خيراً . . . ولبيان هذا وتجليته أسوق هذه الخطبة الجامعة المشهورة [بخطبة حجة الوداع] لنرى من خلالها حقيقة هذا الدين الخاتم ، وشموله للزمان والمكان ، ومدى ارتباطه بالواقع الإنسانى .

خطبة حجة الوداع

لقد أقام النبى - ﷺ - بمكة حتى يوم التروية ،وهو اليوم الثامن من ذى الحجة ، فلما زاغت الشمس [2] ،فى ذلك اليوم ركب إلى منى فبات بها ، ثم فصلى بها الصبح ، ثم سار إلى عرفة حين رأى الشمس قد طلعت ، فلم صار ببطن (عرفة) وقف على راحلته فخطب فى الناس خطبتع الجامعة قائلاً :

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،وأن محمداً عبده ورسوله ، أوصيكم عباد الله ، بتقوى الله ، وأحثكم على طاعة الله ، واستفتح بالذى هو خير ، أما بعد :

أيها الناس : اسمعوا منى أبين لكم ، فأنى لا أدرى : لعلى ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً .

حرمة الدماء والأعراض والأموال :

أيها الناس : « أتدرون فى إى شهر أنتم ، وفى أى يوم أنتم ، وفى أى بلد أنتم ؟

---

(١) انظر بتفصيل : المسيحية ، د. احمد شلبى ، ص ١٩٧، ١٩٨.

(٢) زاغت الشمس : مالت عند الظهر إلى ناحية الغرب قليلاً. وكان ذلك سنة عشر من الهجرة.

قالوا : « فى يوم حرام ، وشهر حرام ، وبلد حرام ». قال : « فإن دكاءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا . وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم . . . ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : اللهم أشهد . . . » .

حرمة الربا والأخذ بالثأر :

" إلا ومن كانت عنده أمانة فليؤديها إلى من ائتمنه عليها . ألا وإن كان رباً فى الجاهلية موضوع ، وإن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ، قضى الله أن لا ربا ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمى العباس بن عبد المطلب . . . وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث [1]. وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية [2]. والعمد قود [3]، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية . ألا هل بلغن ؟ قالوا نعم . قال: اللهم أشهد .

حرمة الأشهر الحرم :

أيها الناس : إنما النسئ [4] زيادة فى الكفر، يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاماً ، ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية وواحد فرد : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، ورجب الذى بين جمادى وشعبان . . . ذلك الدين القيم ، فلا تظلموا فيهن أنفسكم ، ولا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض . . ألا هل بلغت ؟ قالوا نعم . قال : اللهم أشهد .

---

(١) كان مسترضعاً فى بنى ليث فقتله هذيل ، واسمه : اياس . وقيل حارثة ، والأول أصح وهو ابن عم النبى ﷺ .

(٢) السدانة : خدمة الكعبة.

(٣) القود : القصاص.

(٤) كانت العرب تدين بالأشهر الحرام التى يحرمون فيها القتال، فيحلون بعضها عاماً ويحرمونه عاماً ، تبعاً لأهوائهم .

حقوق النساء :

أيها الناس : إن لنسائكم عليكم حقاً ، وإن لكم عليهن حقاً . . . فعليهم ألا يوطئن فرشكم أحداً ولا يدخلن بيوتكم أحداً تكرهونه إلا بإذنكم ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع ، وأن تضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف . وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهم خيراً . . . ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : اللهم أشهد . . . !!

أخوة ووحدة ومساواة :

أيها الناس : إنما المؤمنون إخوة ، ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه . . . أيها الناس : إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ، ليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى . . ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : اللهم أشهد !!

ضرورة الاعتصام بالكتاب والسنة :

أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه ، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرونه من أعمالكم فاحذروه على دينكم . .

أيها الناس : إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث ، وإنه لا وصية لوارث ، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث . والولد للفراش ،وللعاهر الحجر [1] ، ومن ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ،ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً [2] . . . وقد تركت فيكم ما إن أعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بينا : كتاب الله ، وسنة نبيه . . . وإنكم ستسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت ،وأديت ،ونصحت ،فجعل يشير بأصبعه السبابة إلى السماء ، ثم إلى الناس وهو يقول : اللهم أشهد . . . اللهم أشهد . . . !

---

(١) العاهر : الزاني . الحجر : الرجم ، والمراد أنه لا ينسب إليه الطفل ، لأن الولد للفراش.

(٢) الصرف : التوبة العدل: الفدية.

ثم قال : « فليبلغ اللشاهد منكم الغائب ، فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

أهم الأفكار الواردة فى خطبة حجة الوداع

أولاً : إن خطبة الوداع التى ألقاها النبى - ﷺ - بمكة وسمعها عشرات الألوف من المسلمين ، وإن كانت لم تشمل تعاليم الإسلام **كله** ، والتى جاء بها رالققرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة ، إلا أنها على إيجازها جمعت فحوت كل ما يهم المسلمين فى دينهم ودنياهم ، وقد خطبها النبى ﷺ - مودعاً به أصحابه . . . { اسمعوا منى أبين لكم ، فإنى لا أدرى : لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف ابداً } .

ثانياً : بدأ النبى - ﷺ - خطبته ، بحمد الله - تعالى - وشكره على ما أتم من نعمة ، وأسبغ من فضل ، فأكمل الدين ، ودخل الناس فيه أفواجاً ، وقضى على الوثنية فى الجزيرة العربية ، وعقب على أثر الحمد بالاستغفار والتوبة ، وهذا واجب العبد مهما علا مقامه ، ففى الاستغفار والتوبة رجوع إلى الله - تعالى - ،وبعد أكد عن المعاصى ، وتصحيح للنية التى هى عمل من أعمال القلب . . . بذلك يتحقق التوافق بين عمل القلب، وعمل الجوارح .

ثم بين عمل الله - عز وجل - فى هداية الناس ، وإصالهم لمعرفة الحق واتباعه ،فهو يشرح صدور من يشاء لقبول الهداية ، ويجعل صدر من يريد ضيقاً حرجاً كأنما يصعد فى السماء ، قال تعالى : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ [2].

بعد ذلك قرر عقيدة التوحيد الذى امتاز به الإسلام ، عن كافة الأديان ، والذى هو من أسباب انتشاره ، ومخالطة بشاشته القلوب . . وأنه عبد الله ورسوله مأمور بتبليغ ما

---

(١) انظر السيرة النبوية - ابن هشام - ٢/ ٢٠٦، العقد الفريد - ابن عبد ربه ٢/ ٥٧ك - ٣٥٩، البيان والتبيين - الجاحظ - ٢/ ٢٤ - ٢٦.

(٢) سورة الأنعام الآية : ١٢٥.

أنزل إليه من ربه : ﴿ يـا أيها الرسول بلغ مـا أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فـما بلغت رسالته ﴾ (١) . . . . وفى ذلك يقول : [وأشهـد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله] .

ثالثاً : انتقل - ﷺ - بعـد ذلك إلى الموعظة والتذكير ومخاطبـة المسلمين بقوله : [أيها الناس] ، ولم يقل : [أيها المؤمنون]، أو : [أيها المسلمـون] إعلانا لعموم رسالته ، وإنها للناس جميعا . . . وانطلاقا من قول الله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحى ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾(٢) بدأ ﷺ موعظته بتقوى الله . . والتقوى : كلـمة جامعة مظؤداها فـعل كل ما من شإنه الوصول إلى سـعادة الدنيا والآخرة ، ففيـها الحث على الصلاة والزكاة ، والصوم ،والحج ، وفـيها - كذلك - الحث على الآداب والفضائل الحسنة ،والصفات الكاملة ،والعمل على تحصيل الدنيا بطريق حلال لا شبهـة فيه ، فالحلال بين ، والحرام بين ، وترك مـا فيه شبهـة تورعا ، والإهابة بالعدل والاحسان ، ولو مع الأعداء ، استجابـة وإذعانا لقول رالله تعالى : ﴿ عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم ﴾(٣) .

رابعاً : حرم الاعتداء ، والاغتصاب ، وسفك الدماء ، وشدد فى ذلك حتى جعله فى مقام يوم عرفة من شهر ذى الحجة فى بلد الله الحرام (مكة) . . . ومتى انتفى الاعتداء ساد السلام الذى هو غاية كل العالم . . . وفى ذلك يقول : [فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام إلى أن تـلقوا ربكم ، كحـرمة يومكم هذا فى شهـركم هذا فى بلدكم هذا . وإنكم ستلقـون ربكم فيسـألكم عن أعمالـكم] ،ومن ثم تظهر دعوة الإسـلام إلى السلام والمحبة . والعمل على إيجادها بين جنبات العالم كله ، قال تعالى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم

---

(١) سورة المائدة من الآية : ٦٧ .

(٢) سورة الأعراف الآية : ١٥٨ .

(٣) سورة الممتحنة الآية : ٧ ، وانظر : مفاتيح الغيب - الرازى - ١٥/ ٤٩٨

أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾ (١).

خامساً : أمر ﷺ بأداء الأمانة إلى أهلها ، والأمانة قد تكون حسية أو معنوية ، دينية أو دنيوية ، فعلى كل مخلوق أمانة فى عنقه ،يجب أداؤها بحسب نوعها . . ومبدأ أداء الأمانة مبدأ إجتماعى رفيع . . . بالمحافظة عليه ، والعمل على تحقيقه ، تنتفى الخيانات،وتمحى العداوات ، وتنتشر الفضيلة ،ويسود الأمن بين جنبات المجتمع الإنسانى . . . ولتحقيق ذلك أمر بوضع الربا ، واكتفى فيه برأس المال للدائن ، كى لا يظلم ولا يظلم ، وبدأ بربا عمه العباس ابن عبد المطلب - رضى الله عنه - ليكون فى هذا العمل قدوة لجميع المشتغلين بالربا ،كما نهى عن الأخذ بالثأر وبدأ بابن عمه عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المكطلب ، كى تترك العداوات ، ويسود التسامح ، ويكتفى بأحكام الشرع . . . بذلك قضى - ﷺ - على كل عمل من أعمال الجاهلية ، ولم يبق منها إلا خدمة البيت الحرام ، وسقاية الحاج ، لما فيهما من النفع المعلوم . . . . وجعل جزاء القاتل المتعمد القتل ، وشبه المتعمد الدية ، وهى مائة بعير أو ما يساويها .

وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدولكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ، ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾(٢).

سادساً : بين ﷺ حيل المشركين الذين يزيدون أياما على السنة ، لتحليل ما حرم الله من القتال فى الأشهر الحرم ، قائلين بدوران الأيام ، فيحلونه عاما . ويحرمونه عاما وفى هذا اشارة دقيقة ومعزى جليل وهو تحايل بعض العلماء ،ورجال الدين ، على النصوص الدينية (الشرعية) ،وبيها ،مدعين أنها من الكتاب . . . وهذا عمل خسيس ، يتظاهر أهله الفهم فى الدين ، ومعرفة التأويل ، وهم يريدون بذلك هدم الدين ،

(١) سورة الممتحنة الآيتان : ٨، ٩.

(٢) سورة النساء الآيتان: ٩٢، ٩٣.

واستئصال أركانه . . . هؤلاء هم السبب فى تأخر المسلمين ، وعملهم هذا بعد زيادة فى الكفر !!

سابعاً : أبان ﷺ حقوق النساء ، وواجباتهن ، فأوجب عليهن العفاف وعدم الإذن بدخول أحد إلا برضى الزوج ، والعمل على طاعته ،وعدم عصيانه - إلا فى معصية الله ، فلا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق - هذه الصفات الثلاث هى عماد الأسرة وقوامها ، وإيجاب الرسول - ﷺ - هذه الحقوق على النساء حفظا لكرامتهن ، وإقصاء لهن عن مظنة السوء والريبة ، ولا يأبى الكرامة إلا لئيم سيء المنبت .

بعد ذلك بين ﷺ ما لهن من حقوق ، فأوصى بهن خيرا ، وأعلم أنهم عوان ضعاف - كالقوارير - فى حاجة إلى العطف والحماية ، وأنهن قد امتلكن بكلمة الله ، فيجب إكرامهن ومعاملتهن معاملة المثل والنظير ، مادمن مؤديات ما عليهن ، وفى ذلك يقول ﷺ : « وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وإنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيراً » .

ثامناً : بعد هذه الأحكام المتعلقة بالنساء ، قرر النبى - ﷺ - هذا المبدأ الاجتماعى الذى هو قوة المسلمين المعنوية ، هذه القوة ممثلة فى الأخوة الإيمانية ، وقد عبر النبى - ﷺ - بالتعبير القرآنى فقال : ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾[1]، ولم يقل : إخوان ، إشعاراً بأنهم أشقاء ، تجمعهم رابطة الإسلام . ولكى تستمر هذه الرابطة أوجب على الأخ أن لا ينظر إلى مال أخيه فلا يحل له منه شيء إلا عن طيب نفس منه ، بذلك رفع التحاسد ،والتباغض ، والتدابر . . . ولتأصيل هذا كله بين جنبات النفس الإنسانية ، رفع راية المساواة قائلا : ﴿ إن ربكم واحد ، وإن آباكم واحد ، كلكم لآدم ، وآدم من تراب ، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم ،ليس لعربى فضل على عجمى إلا بالتقوى ﴾ بذلك رفعت العصبية، وبترت الأنساب ،وصار ميزان الأفضلية والسبق ممثلا فى التقوى . . فمن أبطأ عمله ، لا يسرع به نسبه .

تاسعاً : قرر النبى - ﷺ - أن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرض المسلمين ، لكنه

---

(١) سورة الحجرات من الآية : ١٠

اكتفى بإضلالهم وعصيانهم ، فرضى منهم الشرك الخفى ، وهو الاعتماد على غير الله - تعالى - فى أى أمر من الأمور ، سواء دقت أو جلت ، وصدق الله حيث قال : ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾[1]، وكذلك رضى - الشيطان المخالفة لأوامر الدين من الحض على التعاون ،والتآذر ، والحذر من الفرقة ،والشقاق ، وقد وجد الشيطان - بالفعل - شبيلا له فى كل ذلك .وقد أوضحت حكمة تحذير النبى- ﷺ - واضحة .

عاشراً : بعد تدعيم مبدأ المساواة والتحذير من الشيطان ، وضح - ﷺ - أحكام الميراث ،والوصية ومقدارها ، ولمن تكون . . . ثم بين ضرر إهمال الحدود المقررة شرعا ، وإنتساب الولد لغير أبيه . . . وكذا من تولى غير مواليه ، وما يترتي على كل ذلك من آثار سيئة داخل المجتمع الإسلامى .

وما من شك فإن من ينادى بهذا ويعمل لذلك معرضاً عن أمر الله - تعالى - لن يقبل الله منه توبة ولا فدية ، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . . . وفى النهاية ختم النبى - ﷺ - خطبته الجامعة بضرورة التمسك بكتاب الله - تعالى - وسنة نبيه المعصوم - ﷺ - ففيهما العصمة وعدم الإضلال ، آمرا بضرورة تبليغ الشاهد الغائب ، فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من سمعه . . . ثم أشهدهم على ما قاله ، فقالوا : نشهد أنك قد بلغت ، وأديت ونصحت ، فأشهد ربه على ذلك قائلا : اللهم أشهد . . . !! اللهم أشهد . . . !!

وقفة مع ... العظة ... الخطبة ... المقارنة

لا حرم بأن المسيح - عليه السلام - عنى بالوعظ ، وأهم ما يروى عنه فى هذا عظة الجبل ، حينما صعد إلى الجبل ، وما إن جلس حتى اقترب إليه تلاميذه ، فأخذ يعلمهم ويعظهم قائلا :

طوبى للمساكين بالروح ، فإن لهم ملكوت السموات .

طوبى للخزانى فإنهم سيعزون

طوبى للودعاء فإنهم سيرثون الأرض

---

(١) سورة يوسف الآية : ١٠٦ .

طوبى للجياع والعطاش إلى البر فإنهم سيشبعون . . . إلخ[1].

أما الرسول الخاتم - ﷺ - فقد كان يتخول أصحابه بالموعظة مخافة الشآمة عليهم، بيد أن هذه الخطبة خلت من الموعظة . . . إذ هى خطبة تشريع وتأكيد أحكام .لقد وقف - ﷺ - على راحلته وهو ببطن (عرفة) ،فبين للناس أصول عقيدتهم - من توحيد خالص لله - عز وجل- وإقرار تام بعبوديته الخالصة لله - عز وجل - وأنه رسول مبلغ عنه ما أمر به ، وهذا واضح من قوله : [أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله] كما بين أصول شريعتهم - وقد شملت الخطبة أكثرها - ومنها : [ألا وإن كل ربا فى الجاهلية موضوع ، وإن لكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون . . . وإن دماء الجاهلية موضوعة] . . .موضحا المنهاج الذى يجب أن يتبع فى هذه - الحياة ،لكى تسعد الإنسانية فى الدنيا والآخرة . . . وذلك كقوله : [إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرونه من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم] ،وفى ذلك تنبيه ، وتذكير ، وإخبارا بما سيكون من بعده . من هذا يبدو لنا : أن الموافقة بين العظة ،والخطبة إن وجدت ففى الموقف فقط (الجبل) . . . فالمسيح على الجبل ينط تلاميذه ، ومحمد - ﷺ - كذلك يخطب فى أصحابه ، ولكى تتم المقارنة لابد من بيان الآتى :

التشابه والتناقض بين التشريع اليهودى والمسيحى :

يؤمن المسيحيون بالعهد القديم ،ومن ثم حاولوا التوفيق بين ما جاء فى العهد القديم من تشريع ، وما جاء فى عظة الجبل ، وما مثلها من تشريع مناقض فقالوا :

إن التشريع فى المسيحية قد نقل من طور ، وعقدوا لذلك مقارنة بين الشريعة القديمة (اليهودية) ، والشريعة الجديدة (المسيحية) ،ووافقوا على ما يأتى :

وجه التشابه :

(١) كلا الناموسين صادر عن الله .

(٢) كلا الناموسين يأمر بوجوب حفظ الوصايا القديمة التى تسلمها موسى من الله

(١) متى : ٥/ ٣-٦ .

على الجبل ،وهذا ما ذكر به المسيح الشاب الغنى الذى تقدم إليه وسأله الحياة الأبدية فأجابه :

[لا تقبل ، لا تزن ، ولا تسرق ،لا تشهد بالزور ، أكرم أباك وأمك ،وأحب قريبك كنفسك] (١).

(٣) كلا الناموسين يجعل محبة الله رأس الوصايا .

أما فيما يتعلق بالتناقض :

فقد أورد الكتاب المسيحيون صوراليست فى الحقيقة تشريعا جديدا ، ولا معارضة موس، ولكنها فى الغالب ألوان من التسامح ، ليس بها تعديل فى التشريع إلا فى التشريع إلا فى الطلاق معللين ذلك بقولهم :

(أ) أن المسيح أراد الشريعة روحا محييا لا حرفا ميتا .

(ب) أنه أراد تجنيب هذه الشريعه ما تفرضه عليها أحوال الزمان والمكان من تحوير .

(جـ) إنه أراد أن يحترم حرية الإنسان فلا يسوقه مكرها إلى الخضوع للشريعة فيحرمه جزاء أعماله (٢).

وطبيعى أن هذا التعليل غير مقبول ، فإن المسيح لم يتحرر من التشريعات الإلهية ، كما أن التشريع الإلهى ليس حرفا ميتا ،ولا يحرم الإنسان الإمتثال له ، لما فيه من حماية له ولغيره ، وإيجاد مجتمع فاضل محكوم بشرع عادل .

وجوه التناقض بين التشريع اليهودى والمسيحى :

للمسيح - عليه السلام - موقفه الخاص من الشريعة اليهودية ، حيث ورد على لسانه فى عظة الجبل قوله [لا تظنوا أنى جئت لألغى الشريعة أو الأنبياء ، ما جئت لألغى بل لأكمل] (٣).

---

(١) متى : ١٩/ ١٨، ١٩.

(٢) انظر ذلك بتفصيل : المسيحية. د . أحمد شلبى - صـ١٩٢ - ١٩٥، يسوع المسيح - الأب بولس الياس صـ١٩٢- ١٩٣.

(٣) متى ٥/ ١٧.

بيد أن ما جاء فى عظة الجبل وغيرها - مما حوته الأناجيل - محى ،وبدل ،وغير ما قبله من تشريع يهودى ، والأمثلة علي ذلك كثيرة نورد منها حسب ما جاء فى العظة ما يلى :

١ - ما جاء فى القصاص :

دعت شريعة موسى - عليه السلام - وبنص صريح للقصاص حيث جاء فى سفر الاويين : { وإذا أحدث إنسان فى قريبه عيباً ، فكما فعل كذلك يفعل به ، كسر بكسر ، وعين بعين ،وسن بسن ،كما أحدث فى الإنسان يحدث فيه }(١).

أما المسيح - عليه السلام - فقد نهت شريعته عن ذلك حيث قال : { سمعتم أنه قيل عين بعين ، وسن بسن ، أما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر مثله ، بل من لطمك على خدك الأيمن ، فأدر له الخد الآخر }(٢).

وفى شريعة الإسلام يكفينا فى ذلك ما جاء فى قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن أعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم ﴾ (٣)، وما جاء فى خطبة حجة الوداع : { والعمد قود ، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر ، وفيه مائة بعير ، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية } .

٢ - ما جاء فى الزواج والطلاق :

لقد أباحت شريعة موسى - عليه السلام - الزواج ، كما أباحت التعدد ،فقد جاء فى سفر التكوين : { واتخذ لامك لنفسه امرأتين ، اسم الواحدة عادة ، واسم الأخرى صلة . . . وقال لامك لامرأتيه عادة ، وصلة ، اسمعا قولى يامرأتى لامك واصغيا لكلامى }(٤)، وفى هذا دليل على أن التعدد كان مباحاً فى الشريعة اليهودية .

---

(١) متى : ٣٤/ ١٩، ٢٠.

(٢) متى : ٥/ ٣٨، ٣٩.

(٣) سورة البقرة الآية : ١٧٨.

(٤) ٤/ ١٩- ٢٣.

أما ما جاء به المسيح - عليه السلام - فلم يرد نص فى الأنجيل يدل صراحة على أن التعدد حرام . . بل اعتمد المسيحيون فى تقيدهم الزواج بواحدة على نصوص يؤولونها تأويلاً بعيداً عن مفهومها . . يقول الدكتور / يوسف محفوظ :

إن تعدد الزوجات على نوعين : تعدد فى وقت واحد ، وتعدد الزوجات بالتتابع . فتعدد الزوجات فى وقت واحد يقوم بأن يكون الرجل مقترناً بأكثر من امرأة ، ويعيش معهن فى آن واحد . بينما تعدد الزوجات بالتتابع يقتصر على أن يكون للرجل زوجة واحدة ، ولا يقترن بأخرى إلا إذا توفيت الأولى ، أو حل من ارتباطه بها .

فالديانة المسيحية ما عرفت قط - وما أمكنها أن تعرف - تعدد الزوجات فى وقت واحد ، لكنها عرفت تعدد الزوجات بالتتابع ، وهذا ليس تعدد زوجات[1].

جاء فى الأنجيل أن التلاميذ يألوا المسيح - عليه السلام - { هل يحل للرجل أن يطلق زوجته لآية سبب . . . } فأجابهم قائلا : { أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى . وقال : من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً . إذا ليسا بعد اثنين ، بل جسد واحد ، فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان }[2]. هنا لم يقل المسيح { ويتحد بزوجاته } بل { زوجته } أى { الرجل الواحد } { امرأة واحدة } والاثنان يصيران جسداً واحداً .

والرجل الذى اقترن بزوجته قرانا صحيحا ، لا يحق له أن يطلقها ويتزوج بأخرى، وهذا مخالف لما جاء فى العهد القديم . . . جاء فى الأنجيل أن المسيح - عليه السلام - أجاب التلاميذ حين سألوه عن الطلاق . . . { بسبب قساوة قلوبكم سمح لكم موس'ى بتطليق زوجاتاكم ، ولكن الأمر لم يكن هكذا منذ البدء ، ولكن أقول لكم : إن الذى يطلق زوجته لغير علة الزنى ، ويتزوج بغيرها ، فإنه يرتكب الزنى ، والذى يتزوج بمطلقة يرتكب الزنى }[3]. بذلك منع الزواج بمطلقة ، كما أن الحياة مع زوجة ثانية زنى ،

---

(١) مجلة الفكر الإسلامى - العدد الثانى عشر من السنة الأولى - ص ٦٠- ٦٢.

(٢) متى : ١٩/ ٣ - ٦.

(٣) متى : ١٩/ ٧ - ٩.

جاء في رسالة بولس إلى أهل كورنثوس : [فإنه يحسن بالرجل ألا يمس امرأة ، ولكن تجنباً للزنى ، ليكن لكل رجل زوجته ، ولكل امرأة زوجها ، وليوف الزوج زوجته حقها الواجب ، وكذلك الزوجة حق زوجها] (١).

أما في الإسلام فيكفينا وضوحاً ما جاء في قوله تعالى : ﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا ، وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً ﴾(٢)، وقول الرسول - ﷺ - في خطبة حجة الوداع : [. . . واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم ، ، لا يملكن لأنفسهن شيئاً ، وأنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً] .

٣ - ما جاء في الزانى :

لقد دعت شريعة موسى - عليه السلام - إلى إقامة الحدود وعدم التهاون فيها ففي سفر اللاويين : [إذا زنى رجل مع امرأة . . فإذا زنى مع امرأة قريبة فإنه يقتل الزانى والزانية ، وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه ، إنهما يقتلان كلاهما ، دمهما عليهما . وإذا اضطجع رجل مع كنته فإنهما يقتلان كلاهما . فقد فعلا فاحشة . دمهما عليهما وإذا اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعلا كلاهما رجسا . إنهما يقتلان . دمهما عليهما . وإذا أتخذ رجل اكمرأة وأمها فذلك رذيلة . بالنار يحرقونه وإياهما لكي لا يكون رذيلة بينكم . .] (٣).

وبالنظر في الأناجيل نجد أن شريعة المسيح - عليه السلام - قد خالفت ما جاء في العهد القديم مخالفة بينة ، ففي انجيل يوحنا ورد فيه أن جماعة الكتبة والفرنسيين جاؤا إلى المسيح لامرأة أمسكت في زنى ، وسألوه ماذا هو فاعل . . ولما استمروا يسألونه ، قائلين له يا معلم هذه المرأة امسكت وهي تزنى في ذات الفعل ، وموسى في الناموس أوصانا أن هذه

---

(١) ٧ : ١-٣.

(٢) سورة النساء الآيات : ٣، ٤.

(٣) ٢٠/ ١١- ١٤.

ترجم ، فما تقول أنت ، فأجابهم قائلاً : { من منكم بلا خطيئة فليرمها أولاً بحجر . . . ثم قال لها : اذهبى ولا تعودى تخطئين أبداً } (١).

أما الإسلام فقد جاءت أحكامه واضحة ، ولإقامة هذا الحد - الزنى -لابد من شهود أربع ، أو بينة ، أو إقرار ،فإن كان الزانى غير محصن فحده مائة جلدة وإن كان محصنا فحده الرجم ، قال تعالى : ﴿ الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾. (٢)، أما حد الرجم فدليله ما جاء فى هذه الخطيئة الجامعة حيث قال - ﷺ - : { والولد للفراش ، والعاهر الحجر } .

٤ - الطلاق :

جاء فى العهد القديم فى سفر التثنية : { إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها فإن لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيب شىء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ، ومشى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر ، فإن أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته ، أو إذا مات الرجل الأخير الذى أتخذها له زوجة لا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تجنست لأن ذلك رجس لدى الرب . فلا تجلب خطية على الأرض التى يعطيك الرب إلهك} (٣).

أما فى شريعة المسيح - عليه السلام - فقد جاء فى عظته : { قيل إيضاً : من طلق زوجته فليعها وثيقة طلاق . أما أنا فأقول لكم : كل من طلق زوجته لغير علة الزنى فهو يجعلها ترتكب الزنى ، ومن تزوج بمطلقة فهو يرتكب الزنى } (٤).

وفى شريعة الإسلام : نجد أنه قد أباح الطلاق عند الحاجة الشديدة إليه ، فإن لم تكن الحاجة شديدة إليه ، كان حكمه الكراهية ، ولم تكن إليه حاجة أصلاً كان حكمه الحرمة ،

---

(١) ٨/ ٣- ١١.

(٢) سورة النور الآية : ٢ .

(٣) ٢٤/ ١-٤.

(٤) ٥/ ٣١، ٣٢.

لأنه سيكون ظلماً للزوجة ، والظلم حرام فى هذا وغيره . . . قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ، وإن اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثما مبيناً ﴾ (١).

وقد أمر الإسلام قبلا الطلاق بمعالجة الزوجة بأنواع من التأديب ، فشرع العظة والهجرة ونحوها ، وشرع الصلح بين الزوجين بتحكيم رجلين من أهلها ، قال تعالى : "الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهم سبيلاً إن الله كان عليا كبيراً ، وإن خفتم شقاق بينهما إن الله كان عليما خبيراً " (٢). بعد ذلك يأذن له فى الطلاق، وجعله ثلاث مرات لتمكينه من الرجوع عن زوال أسباب الشقاق ، قال تعالى: " الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ، فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون "(٣).

بهذا نرى شرعاً عادلاً جاء ملائماً وموافقاً لضرورات الاجتماع البشرى ، فهو قد سلك طريقاً وسطاً بين اليهودية والمسيحية . . . لقد أباح التعدد بينما حرمته الكنيسة، ولم يحرم على الزوج أن يرد مطلقته إلى عصمته ، كما فعلت اليهودية، كذلك لم يحرم الطلاق كما فعلت المسيحية، حين تغالت فى ذلك ، فذهب أتباع المذهب الكاثوليكى إلى تحريم الطلاق تحريماً قاطعاً ، ولم يبح لأى من الزوجين أن يعقد زواجه على شخص آخر . . . وفى هذا

---

(١) سورة النساء الآيتان : ١٩، ٢٠.

(٢) سورة النساء الآيتان: ٣٤، ٣٥.

(٣) سورة البقرة الآيتان : ٢٢٩، ٢٣٠.

تشديد وغلو يخالف السلوك البشرى.

٥- الميراث :

مما يدل على قوة الإسلام وعدله فى تشريعاته أن جعل للزوجة نصيباً من الميراث بعد أن كانت تحرم منه كما فى شريعة اليهود . . [لم تكن المرأة بحسب الشريعة اليهودية شخصاً بل شيئاً . ولم تكن لها أى حقوق شرعية ، وكانت تعد بكل معنى الكلمة من ممتلكات زوجها ، التى يحق له التصرف بها كما يشاء] [١]ومن ثم أجمع علماء القانون المنصفون ، الذين درسوا الشريعة الإسلامية ، أن الشريعة الإسلامية منحت الزوجات من الميراث ، وهذا مالا نجد له مثيلاً فى قوانيننا. . . لقد جعلت من توزيع الميراث إجبارياً بين الورثة فى حدود الثلثين من التركة ، وأن الخلافة الاختيارية فى المال لا تكون فى أكثر من الثلث . . ويلاحظ من هذه الوصية التى أجيزت للوارث أن يكون سببها وباعثها أمر لا تستنكره الأخلاق والفضائل بل تكون فى دائرة المعروف ، لأقاربه الضعفاء الذين لا يرثون وهم فى حاجة [٢] قال تعالى : " وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولا لهم قولا معروفاً " [٣] ، وقال سبحانه : " كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين " [٤] ، وقال ﷺ فى خطبته [إن الله سم لكل وارث نصيبه من الميراث ، وإنه لا وصية لوارث ، ولا تجوز وصية فى أكثر من الثلث] .

يقول جوستاف لوبون " ومبادىء الميراث التى ينص عليها القرآن الكريم على جانب عظيم من العدل والانصاف " ويستطرد قائلاً : " ويظهر من مقابلتى بينها وبين غيرها . . أن الشريعة الإسلامية منحت الزوجات حقوقاً في المواريث لاتجد مثلها فى قوانيننا" [٥]. والعلة : أن العطاء فى الميراث جاء على قدر الحاجة، وهذا أعدل .

---

(١) المسيحية والقضايا المعاصرة - جون ستون- ٢٤١.

(٢) المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام - أبو زهرة - ص ٨٤.

(٣) سورة النساء الآية : ٨.

(٤) سورة البقرة الآية : ١٨٠.

(٥) انظر : المجتمع الإنسانى فى ظل الإسلام - أبو زهرة ، ص ٧٥، وما بعدها ، الأسفار المقدسة ، د. على عبد الواحد وافى ، ص ٧١، حقوق الإنسان فى الإسلام، د. على عبد الواحد وافى ، ص٥٤ وما بعدها.

عظمة الإسلام:

بهذا يبدو لنا أن الإسلام في كل أحكامه وتشريعاته ، حوى فقها عظيماً لا يضاهيه فقه آخر ، حتى وسع المسلمين في أزهى عصورهم ، ولم يحوجهم إلى تشريع آخر ، يكلمون منه حاجاتهم . . . ويكفينا تثبيتاً أن الأمم المسيحية الآن لاتجد تشريعاً يفي بحاجتها سوى الشريعة الإسلامية.(١)

٦ - ما جاء في القتال :

لقد ورد في العهد القديم ما يفيد بأن الله أمر موسى بالقتال ، وألا يهاون الخارجين عن عبادة الله ، بل يهدم مذابحهم ، ويكسر أصنامهم . . {احفظ ما أنا موصيك اليوم . ها أنا طارد من قدامك الأمور بين ، والكعانيين ، والحثيين ، والفرزيين والحوبيين واليبوسيين . احترزوا أن تقطع عهدا مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لئلا يصيروا فخا في وسطك ، بل تهدمون مذابحهم ، وتكسرون أنصابهم ، وتقطعون سواريهم }(٢) . وفي سفر العدد : أن الله أمر موسى أن ينتقم لبني إسرائيل في المديانيين { وكلم الرب موسى قائلا : انتقم نقمة لبني اسرائيل من المديانيين ثم انضم إلى قومك . فكلم موسى الشعب قائلا: جردوا منكم رجالا للجند فيكونوا عليمديان ليجعلوا نقمة الرب على مديان }(٣)، فاختار موسى اثني عشر ألفا فأرسلهم إلي مديان ، كما أمر الرب فقتلوا كل ذكر وسبوا كل النساء والأطفال وأخذوا أموالهم غنيمة(٤).

أما الانجيل : فقد جاء بالمتناقضات في هذا الموضوع دون بيان علة في ذلك، فبينما يقول : أحبوا أعداءكم، وباركوا لا عنيكم، وأحسنوا معاملة الذين يبغضونكم }(٥) ، نجد بعد قليل قوله : لا تظنوا أني جئت لأرسي سلاما على الأرض . ما جئت لأرسي سلاما،

---

(١) انظر : المجتمع الإنساني في ظل الاسلام - أبو زهرة - صـ٧٥، وما بعدها ، الأسفار المقدسة- د. علي عبد الواحد وافي - صـ٧١، حقوق الانسان في الإسلام - د. علي عبد الواحد وافي - صـ٥٤ وما بعدها.

(٢) الخروج : ٣٤/ ١١- ١٣.

(٣) ٣١/ ١- ٣.

(٤) انظر سفر العدد : ٣١/ ٣- ٥٤.

(٥) متى ٥/ ٤٤.

بل سيفاً [1].

أما القرآن الكريم : فآياته واضحة جلية فى هذا المقام حيث نهى عن الاعتداء أيا كان ، قال تعالى : وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين "[2]، وقال سبحانه : " أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز " [3]، وفى ذا يقول النبى ﷺ فى خطبته : [إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، إلي أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم . . .] هذا هو الاسلام ، وتكريمه لنبى آدم ، ونظرته الشمولية للحفاظ عليه ، تاركا له الحرية فى العتقاد، دون مقاتلة له أو بغى مذكراً إياه بقوله سبحانه : ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلاً "[4]

٧- ما جاء في الشيطان:

لم يذكر العهد القديم إلا صورة حوار بين حواء والحية [5]، أما كلمة (إبليس) فلم ترد فى العهد القديم ، ومن ثم فلو بحثنا فى الكلمة المرادفة وهى (الشيطان) نجد أن أيوب أول من ذكرها : [وكان ذات يوم أنه جاء بنو الله ليمثلوا أمام الرب وجاء الشيطان أيضاً فى وسطهم ، فقال الرب للشيطان من أين جئت . فاجاب الشيطان الرب وقال من الجولان فى الأرض ومن التمشى فيها] [6].

وبالتأمل والتدقيق فى هذا السفر (سفر أيوب) نلحظ أثره الواضح على العقلية

---

(١) متى : ١٠/ ٣٤.

(٢) سورة البقرة الآية : ١٩٠.

(٣) سورة الحج الآيتان: ٣٩، ٤٠.

(٤) سورة الاسراء الآية : ٧٢.

(٥) تكوين : ٣/ ١-١٥

(٦) أيوب : ١/ ٦، ٧.

اليهودية . . . فمن خلاله كان هذا الاعتقاد :

- أن هناك طبيعة خيرة ممثلة فى الملائكة الذين أطلق عليهم سفر أيوب (بنو الله).

- أن هناك طبيعة شريرة ممثلة فى الشيطان لله

- إن هناك طبيعة الانسان (وأيوب رمز لها).

ولقد نسج أحبار اليهود الأساطير حول الصراع بين الله والشيطان ، وتناقلوها جيلا بعد آخر ، إلى أن صاغها يوحنا اللاهوتى فى رؤياه حيث قال: فى الاصحاح الثانى عشر : { وظهرت آية عظيمة فى السماء امرأة متشربلة بالشمس والقمر تحت رجليها وعلى رأسها إكليل من اثنى عشر كوكبا . . . إلى أن قال . . . وحدثت حرب فى السماء . ميخائيل وملائكته حاربوا الاثنين ، وحارب التنين وملائكته ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك فى السماء . فطرح التنين العظيم الحية القديمة المدعو إبليس والشيطان الذى يضل العالم كله طرح إلي الأرض وطرحت معه ملائكته . . . وبل لساكنى الأرض والبحر ، لأن إبليس نزل إليكم وبه غضب عظيم عالما أن له زمانا قليلاً } (١)

بهذا يتبين لنا أن رؤيا يوحنا اللاهوتى تعبير عن الأسطورة التى شاعت بين اليهود ، ومن شأن الأساطير إلياس الحق بالباطل . . . فجاء القرآن الكريم المعصوم من التحريف والتبديل فوضح ما ألبسوه ، فأثبت أولا : أن وسوسة الشيطان كانت لآدم وحواء معا ، وليس لأحدهما دون الآخر ، قال تعالى : " فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ورى عنهما من سوءاتها وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة لا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين ، وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين ، فدلاهما بغرور " (٢). كما بين حقيقة إبليس وعدم استحجابته لأمر الله ، فقال : " إذ قال ربك للملاءكة إنى خالق بشراً من طين ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين ، فسجد الملائكة كلهم أجمعون، إلا إبليس استكبروا وكان من الكافرين ، قال يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين، قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من

---

(١) رؤيا يوحنا : ١٢/ ١- ١٢ ، وانظر الاصحاح الثانى عشر كاملا.

(٢) سورة الأعراف الآيات : ٢٠- ٢٢.

طين ، قال فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين " (١) لقد صحح القرآن الكريم ما جاء فى العهد القديم ، والعهد الجديد ، بأسلوب يدل على أنه ليس من زعمال البشر ، بل هو منزل من عند الله الذى يعلم دقائق الأمور وطبائع البشر . . . ولهذا فقد ركز على ناحيتين هامتين :

الأولى : وحدانية الله - عز وجل - قال تعالى : "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن فى الأرض جميعاً ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شىء قدير " (٢)، وقال سبحانه " لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم " (٣)

الثانية : إثبات أن محمداً رسول الله ، مبلغ ما أنزل إليه من ربه ، وعيسى - عليه السلام - كذلك أيضاً ، قال تعالى : " يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما فى السموات والأرض وكان الله عليما حكيما، يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها علي مريم وروح منه فآمنوا بالله

ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الأرض وكفى بالله وكيلا " (٤). وقال فيما يتعلق بالقرآن الكريم ، وما نسبوه إليه : " وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلما وزوراً ، وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأوصيلا، قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض إنه كان غفورا رحيماً " (٥)

بعد هذا كله يمكننا أن نقول : إن دعوة المسيح - عليه السلام - إذا اشتهرت بين

---

(١) سورة ص الآيات : ٧١- ٧٨.

(٢) سورة المائدة الآية : ١٧.

(٣) سورة المائدة الآية: ٧٣

(٤) سورة النساء الآيتان: ١٧٠- ١٧١

(٥) سورة الفرقان الآيات : ٤- ٦.

مجموع أبناء الكنيسة بأنها دعوة الحب والتسامح ، فإن الإسلام أوصى معتنقيه بأكثر من ذلك، قال سبحانه : " وسارعوا إلي مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ، الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين " (١)، وقال أيضاً : " ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كزنه ولى حميم ، وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم " (٢) ، ويقول فى صاحب الرسالة الخاتمة : فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لا انفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين" (٣).

الإيمان فى المسيحية تقليدى :

لقد سيطرت الكنيسة على أتباعها، وعلي المسيحى أن يؤمن بالعقائد المسيحية، ثم يروض عقله على فهمها . بخلاف الاسلام الذى أمر اتباعه بالتفككير والتدبر فى ملكوت السموات والأرض ، وما جاء من عند الله ، قال تعالى : " إن فى خلق السموات والأرض واختلف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب" (٤)، وقال سبحانه : : " أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً " (٥)

سلطة واسعة لرؤساء الكنيسة:

لقد أعطت الكنيسة سلطة واسعة لرؤسائها أشبه بسلطة الإله . . . فقد ورد فى متى : [الحق أقول لكم : كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء] (٦) . يقول الشيخ محمد عبده معلقا على هذا بقوله : " فإذا قال الرئيس الكهنوتى لشخص أنه ليس بمسيحى صار كذلك ، وإذا قال

---

(١) سورة آل عمران الآيتان : ١٣٣- ١٣٤ .

(٢) سورة فصلت الآيتان : ٣٤، ٣٥.

(٣) سورة آل عمران الآية : ١٥٩ .

(٤) سورة آل عمران الآية : ١٩٠

(٥) سورة النساء الآية : ٨٢

(٦) ١٨/ ١٨ .

إنه مسيحى فار بها ، فليس المعتقد حراً فى اعتقاده ، يتصرف فى معارفه كما يرشده عقله، بل منه مشدود بشفتى رئيسه الدينى "[1].

وهذا بالطبع مخالف لما جاء به الاسلام ، فقد خاطب الله نبيه الخاتم -ﷺ- بقوله: "استغفر لهم أولا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين " [2]

التفكك الأسرى:

جاء فى انجيل لوقا : {إن كان أحد يأتى إلى ولا يبغض أباه وزمه وامرأته وأولاده واخوته حتى نفسه فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً} [3]. وجاء فى متى على لس،ان المسيح : {فإنى جئت لأفرق الانسان ضد أبيه ، والابنة ضد أمها ، والكنة ضد حماتها . واعداء الإنسان أهل بيته }[4]

وهذا أيضاً مخالف لما جاء به الاسلام حيث قال سبحانه : " وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيراً } [5]

زد على ما تقدم : أن ما جاء فى انجيل لوقا ، ومتى ، يعارض ويناقض ما جاء فى عظة الجبل.

محاربة الأجساد:

لقد حاربت المسيحية الاجساد ، ودعت بعدم الاهتمام بها ، ففى انجيل متى جاء قوله: { لا يقدر أحد أن يخدم سيدين . لأن إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم

---

(١) الإسلام والنصرانية صـ٢٧

(٢) سورة التوبة الآية : ٨٠

(٣) ١٤/ ٢٦

(٤) ١٠/ ٣٥، ٣٦.

(٥) سورة الإسراء الآيتان : ٢٣، ٢٤.

الواحد ويحتكر الآخر . لا تقدروا أن تخدموا الله والمال . لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا لأجسادكم بما تلبسون [(١)

وفى الاسلام دعوة إلى الاعتدال فى كل شيء دون أفراط أو تفريط ، ففى هذا نرى قوله تعالي : " يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين ، قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة " (٢)

الاستسلام للظلم:

ورد فى إنجيل لوقا أن المسيح قال : [من انتزع رداءك فلا تمنع عنه توبك . . . ومن اغتصب مالك فلا تطالبه] (٣) ، وفاى هذا ظلم ، بل ومحاربة ، إن ارتضته المسيحيه ، فلا لاسلام لم يرتضيه ، قال تعالي : " إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم " (٤).

وبعد

فالاسلام بهذا يخالف اليهودية التى يغالى أهلها فى حب المادة ، ويؤثرون الدنيا على الآخرة ، كما يخالف المسيحية التى تطلب الزهد فى الدنيا إلى حد الرهبانية والانقطاع بالكلية عن الدنيا طلبا للآخرة . . . ولو تأمل أهل الكتاب وغيرهم ما جاء به الاسلام لأيقنوا أنه الدين الخاتم الذى لم يشرع لشعب دون شعب ، بل هو للناس جميعاً ، وما علينا إلا أن نردد قول الله تعالي : " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " (٥)

وبالله التوفيق.

بالتوفيق

---

(١) ٦/ ٢٤، ٢٥.

(٢) سورة الأعراف الآيتان : ٣١، ٣٢.

(٣) ٦/ ٢٩، ٣٠.

(٤) سورة المائدة الآية : ٣٣.

(٥) سورة آل عمران الآية : ٦٤.